الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: لغة عربية

إعداد الطالب(ة):
*- بثينة عرابة
*- بسمة لطرش

إشراف الأستاذ(ة):
*- سليم مزهود

السنة الجامعية: **2015/2014**

بسم الله الرحمن
الرحيم

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ
أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ
النمل 19؟.

دعاء

اللهم علمنا أن نحب الناس كلهم نحي
أنفسنا، وعلمنا أن نحاسب أنفسنا كما نحاسب الناس، وعلمنا أن التسامح هو أكبر مراتب القوة، وأن الانتقام هو أول مظاهر الظلم.
اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا أخفقنا، بل ذكرنا دائما أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح.
اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا وإذا أسأنا إلى الناس فامنحنا شجاعة العفو.
يا رب =

تقدير وعرفان

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

الحمد لله الذي شرفنا بالإسلام وكرمنا بالقرآن وحسن الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان.

الحمد لله الذي وفقنا على إتمام هذا العمل.

51333550515

وجازى الله خيرا من كان لنا عونا فيه لا سيما الأستاذ صاحب الفضل الكبير

"سليم مزهود"

كيف لا وقد كان لنا السند والمرجع الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته.

ولا ننسى أستاذنا الفاضل الذي أعاننا في اختيار عنوان موضوعنا هذا، ولك منا فائق التقدير والاحترام وجزيل الشكر والامتنان

ونشكر جميع أساتذة المركز الجامعي "ميلة" على نتاجهم العلمي الذي أفادنا مع تمنياتنا لهم بالمزيد من الارتقاء في سلم العلم والمعرفة.

والحمد والشكر لله عز وجل على توفيقه لنا.

إهداء

يا رب

أوليتني نعما أبوح بشكرها وكفيتني الأمور بأسرها

لأشكرنك إن حييت وإن أنا مت لتشكرنك عظامي في قبرها

يا من

علمتني سر الحياة وقد تني إلى الخير والتوفيق وإلى البركات

جنبتني الزلل الكبير وصنتني من شهوة ومن نزوات

إلى نبع الحنان وصدر الأمان إلى من تخون الكلمات بوصفها الشمعة التي تذوب لتنير طريقي أمي الغالية.

والذي كان دوما سندا ودعما في مل الأحوال فمن القلب أنثر على دربك أغلى الأمنيات ومن عيوني أردف أرشيف أحلى اللحظات، ومن الأنامل أرتب أفخم الحروف والكلمات العزيز على قلبي أبي.

أختايا الحبيبتان اللتان ساعدتاني بالكثير، زهوة، منال.

وبالأخص أخي عماد وبخاصة فارس الذي أتعبته في مشواري الدراسي.

الكتاكيت الصغار وأحلى ما في الوجود أيمن، أيوب، وئام، إيناس.

إلى لب أخ لم تلده أمي إبراهيم.

صديقاتي الكريمات اللواتي منحنني الأمل: خديجة، آمال، وفاء، بثينة، مفيدة.

لا أنسى رفيق الدرب وعزيز القلب الذي أعطاني القوة وكان دوما بحياتي ودعمني في كل الأوقات نبيل.

وأخيرا إلى من ساندوني في دربي من جيراني: عمار، مولود، سهيل، العربي.

وكل من ساهم من قريب أو بعيد بالقليل أو الكثير.

اللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم.

بسمة

إهداء

- الى من تمشي والجنة تحت قدميها ، التي رآني قلبها قبل عينيها، هي نبع العطاء ورمز الحنان وفيض المشاعر ،

إلى من سهرت وربت وكبرت ولم تبخل "آمي" أدامها الله تاجا فوق راسي ، اللّهم قدّرني على طاعتها وحبها واحفضها .

- إلى من اعشق شيب رأسه الذيأفنا شبابه من أجل شبابي و الذي غرس في قلبي العلم و حنيني عليه إلىآبي حفظه رّبي.

- إلى من تشاركت معهم بطن أمي ويسري في عروقهم دمي إلى من اعتز وأفتخر بأخوتهم: "رقية" "ياسر"

- إلى من رحل ورحلت معه ضحكتي إلى اعز وأغلىوأحبإنسان على قلبي إلى جوهرة المنزل الراحلة أخي الصغير " وائل" رحمة الله وجعله من أهل الجنة.

- إلى كتاكيت المنزل ، هم براءة الضحكة و نور الابتسامة والى أختي و قلبي وكبدي "اسيل وإياد"

- إلى جدتي حفظها الله

- إلى من أعانني وكان معي نعم الرفيق في مشواري رفيقي وصديقي " أمين"

- إلىأختي التي لم تلدها أميإلى صديقة عمري : " نرمان"

- إلى صديقات اعتز بصحبتهم : هدى، بسمة ، هدى ، صبيرة ، فايزة.

- وفيالأخير اهدي ثمرة عملي إلى كل من وقف معي أعانيإلى كل صديق ورفيق وقريب ولم اذكره

أدامكم ربي لي نعمة

بثينة

مقدمة

مقدمة:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم معجزة رسوله الكبرى، والحجة الدائمة على الخلق، أعجز بفصاحته البلغاء، كتاب لا تفنى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، ولا يشبع به العلماء، من قال به صدق وعدل ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، انبهر به الناس عربا وعجما، وأقبلوا على دراسته آناء الليل وأطراف النهار، فألفت في علومه المختلفة المؤلفات، وألف العلماء في إعجازه وأمثاله وتفسيره وتشبيهاته، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه وكل ذلك دليل على إعجاز.

ولهذا فإن القرآن الكريم اشتمل على أعلى مراتب الفصاحة، وكان الالتفات من أهم المواضيع التي تناولت الإعجاز القرآني، ومكمن التميز في أسلوب الالتفات أن المتكلم فيه ينصرف من عنصر من عناصر الكلام إلى غيره مما الأصل فيه الثبات على أحدهما.

وقد ألقينا الضوء في دراستنا هذه الإجابة على الإشكالية المطروحة:

ما ماهية الالتفات؟ وما هي أنواعه؟ والأوجه التي يرد فيها الالتفات؟ وهل تحتوي سورة الشعراء على الالتفات؟.

ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع إلا لما رأينا من أهمية الالتفات في القرآن الكريم وكثرة ما يؤديه من أغراض ودقة في المعاني.

ولقد اعتمدنا في هذا البحث على كتب لغوية وخاصة ما اهتم منها بالأسلوب ككتاب بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعالي الصعيدي ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية لحسن طبل، و مدخل إلى علم الأسلوب لعياد شكري محمد، وبعض المعاجم كالعين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ولسان العرب لابن المنظور، والكتب التي تعنى بالقرآن الكريم عناية خاصة ككتب التفاسير: الجامع لأحكام القرآن المبين من السنة والقرآن لأبي عبد الله محمد بن القرطاجني، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

وقد تناولنا في هذا البحث ثلاث فصول، أما الفصل الأول تناولنا فيه معرفة ظاهرة الالتفات من حيث هي ظاهرة بلاغة محضة فهناك من عده من علم البيان، وهناك من عده من علم البديع ، كما تعرفنا على الأنواع الستة للالتفات والفوائد التي تظفيها هذه الظاهرة، ومختلف الوظائف التي يؤديها.

كما تناولنا في الفصل الثاني الالتفات في ضوء علم الأسلوب، حيث تعرفنا فيه على الأسلوب، ثم قمنا بالمقارنة بين الالتفات والعدول وأن العدول أحد مرادفات الالتفات، وفي هذا الفصل تعرفنا على الأوجه التي يرد فيه الالتفات، وخلصنا إلى الالتفات في الأدوات.

والفصل الثالث هو حوصلة الفصلين السابقين فهو الجانب التطبيقي .

وإن العدول هو أحد مرادفات الالتفات إلا أن المتأمل فيها يجد أن هناك اختلافا فيما بينهما، يكمن في كون الالتفات هو الانتقال من أسلوب إلى أسلوب وانصراف من طرق التعبير الثلاث، فيما يعد العدول الانتقال من أصل الشيء قصد المبالغة لبيان قيمة فنية والالتفات في القرآن الكريم وسيلة لإبراز المعاني الخفية أو الأغراض المعينة، ولإنشاء الحالة النفسية، ولتأكد المعنى، ويلاحظ أن السمة البارزة لدارستهم حول دلالات الالتفات في القرآن الكريم انحصارها في إطار آيات معينة دون ارتباطها بشواهد أخرى.

وفي الأخير نقدم شكرنا الجزيل لأستاذنا المشرف (سليم مزهود)، ونرجو الله أن تكون هذه المذكرة إضافة أخرى يفيد منها طلبة العلم في بحوثهم ودراساتهم.

المدخل؛

تاريخ ظاهرة الالتفات

مدخل:

إذا كان النحاة واللغويين قد أقاموا دراساتهم وبحوثهم على العناية بالأداء المتمثل في جملة القواعد التي قاسوا عليها الكلام فإن البلاغيين قد نهجوا نحوا آخر أقاموا فيه دراساتهم على أساس العدول عن هذا الأداء والانحرافات التي تطرأ عليه.

ومن أبرز الظواهر اللغوية التي نالت عناية كبيرة لدى المفسرين والبلاغيين نجد الالتفات الذي يعد أسلوبا بلاغيا من أساليب التعبير البيانية التي تميز بها القرآن الكريم، والالتفات هو الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، لهذا المصطلح مرادفات كثيرة كالعدول والانحراف والخروج عن المألوف، ولهذه الظاهرة شيوع كبير حيث أشار حسن طبل إلى أول تناول لهذا المصطلح فقال: «أن أقدم إشارة لهذا المصطلح في تراثنا هي – فيما نعلم – تلك التي يرويها أبو إسحاق الموصلي عن الأصمعي (313ه) إذ يقول: قال لي الأصمعي: أتعرف التفاتات جرير؟ قلت: وما هو؟ فأنشدني:

أتنسى إذا تودعنا سليمي بعود بشامة سقى البشام

ثم قال: أما تراه مقبلا على شعره إذا التفت البشام فدعا له»[1].

وقد أشار إلى الالتفات نقاد وبلاغيون قدماء، فقد ذكر الفراء (207ه) في كتابه "معاني القرآن" وأبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه "مجاز القرآن" ويعد أبو عبيدة من أول اللغويين الذين تحدّثوا عن أسلوب الالتفات، قال تعالى «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة» [يونس-22-]

فقد اعتبرها أبو عبيدة «من مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت وحوّلت إلى الغائب »[2]. وقد سماه بن جني "الشجاعة العربية"، وقال بن الأثير معللا هذه

([1])- طبل: حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، 1418ه، ص:12.

([2])- خليفان: عدنان عبد الكريم، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأشهر اللغويين والنحاة في دراسة، جامعة الملك عبد العزيز الإمارات العربية المتحدة، ص :55

لتسمية: « وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الأقدام، وذلك أن الرجل الشجاع يركب مالا يستطيع غيره، ويتورد مالا يتورّده سواه، وكذلك هذا الالتفات في الكلام »[3].

وقد تناوله بن قتيبة (276هـ) لكنه لم يعط له تعريفا ظاهرا وهذا ما فعله قبله الأصمعي ، وقد وصف العلوي الالتفات واستحسنه فقال : « من أجل العلوم البلاغية وأمبر جنودها والواسطة في قلادتها وعقودها»[4].

وقال آيضا بن الأثير فيه : « وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وعن شماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا »[5].

لكننا نجد أن الزمخشري (538هـ) وابن الأثير اختلفا في هذه الظاهرة، فالزمخشري عرّف الالتفات وتعمق فيه فقال في تفسيره لقوله تعالى: «إيّاك نعْبدُ وإيّاك نسْتعين» [الفاتحة-04-] « فإن قلت لم عدل لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم ... وذلك على عادة تفتنهم في الكلام وتصرفهم فيه، والآن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجراء على أسلوب واحد»[6].

تعمق الزمخشري في تعريف ممصطلح الالتفات، غير أن ابن الأثير لم يستحسن تعريف الزمخشري، لأن السر البلاغي عنده يتعلق بفائدة، ووراء ذلك أسرار بلاغية كثيرة، وقد رد العلوي على بن الأثير بقوله: «إن ما قاله الزمخشري لا غبار عليه، وهو سديد يشير إلى مقاصد بلاغية»[7].

([3])- قلقيلة: عبد العزيز، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992م، 1412هـ، ص:317

([4])- قحطان: الطاهر عبد العزيز، الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة صنعاء، يونيو 2005، العدد 19، ص:168.

([5])- ظاهر الدين، بلاغة في فن الالتفات في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة بشاور باكستان، 1993، ص:20.

([6])- قحطان: ظاهر عبد العزيز، الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم، ص:166

([7])- المرجع نفسه، ص: 167.

وقد خاض البلاغيون القدامى في الالتفات، وأعطوا تعريفات كثيرة لكنها لا تختلف كثيرا عن بعضها فكلها تفيد بأنه ظاهرة بلاغية ظهرت منذ القديم في الشعر والقرآن الكريم ونجدها في كلام العرب .

لم يتعمق أي من اللغويين في دراسة الالتفات في كتبهم فقد تناولوه بأسماء عدّة كالرجوع والتحويل والعدول وغيرها من التسميات، وكما اختلفت تسميات هذه الظاهرة، كذلك نجد الاختلاف بين البلاغيين في كون الالتفات من علم المعاني أو كونه من علم البيان، وهناك جمع بين الأسلوبين، فمن يعرف الالتفات بأنه: يورث ظرافة في الكلام وحسنا وتطرية فيضفي إليه لظرافته، ولا يكون بذلك الكلام مطابقا لمقتضى الحال، فهو يرى أنه من علم المعاني، ونجد قدامة بن جعفر قد أدخله في نعوت المعاني « هو أن يكون الشاعر أخذ في معنى كأنه يعترضه أما شك فيه أو ظن بأن أراد عليه قوله أو سائلا يسأله عن سببه، أو يحل الشك فيه »[8].

ولابن الأثير الرأي نفسه، أما الزمخشري فنجده تارة يراه في علم المعاني وتارة آخر من علم البيان، والعلوي في كتابه " الطراز" يقول : « محكي عن بعض من خاض في علوم البيان، وتقرير قوله : هو أنّ من عادة العرب وأساليبها في الكلام ... فإن كونه أسلوبا عدّه السكاكي في باب البيان »[9].

وبما أن السكاكي نهج طرق الزمخشري نفسه في تعريف هذه الظاهرة فهو أيضا أورده في كتابه "مفتاح العلوم" مرة في باب المعاني ومرة في باب البيان .

إننا نجد الالتفات في كل علم، فهذا يعني انه يأخذ من كل علم شيق، وقد أدرج المفسرون من القدماء دلالات الالتفات في عدد من الآيات القرآنية مثل: ابن الأثير الجزري في كتابه "المثل السائر" والشوكاني والألوسي والسكاكي، ثم تواصل في هذا المجال في

([8])- قحطان ظاهر عبد العزيز، الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم، ص:166

([9])- العلوي: يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، مصر، 1226هـ، 1914م،ج3، ص:133.

العصر الحديث عدد من الدارسين منهم والأستاذ محي الدين الدرويشي وحسن طبل وكلهم يبدون دلالات الالتفات التي وردت في القرآن الكريم.ولقد نال لالتفات عناية كبيرة من المفسرين والبلاغيين لأنّ الدرس القديم كان ينطلق نمن اختار النمط المثال في الكلام، وربط بلاغة القرآن الكريم بالسياق اللغوي .

الفصل الأول؛

الالتفات المصطلح والظاهرة

مفهوم الالتفات

أنواع الالتفات

أغراض الالتفات

فوائد الالتفات

وظيفة الالتفات

تعريف الالتفات

لغة:

من الفعل لف وقد جاء في لسان العرب «لفت وجهه عن القوم : صرفه، والتفت التفاتا، والتلفت أكثر منه وتلفت إلى الشيء، وتلفت إليه صرف وجهه إليه... قوله تعالى: "ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك" . أمر تبارك وتعالى بعدم الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من عذاب وفي الحديث في صفته صلى الله عليه وسلم : فإذا التفت إليه جميعا، أراد أن لا يسرق النظر، وقيل أراد لا يلوي عنه ويمينة ويسرة إذا نظر إلى الشيء»[1].

الالتفات: «بالفاء عند أهل المعاني ،يطلق على معاني منها: الاعتراض وقد سبق، ومنها تعقيب الكلام بجملة مستقلة متلاقية له في المعنى على طريق المثل أو الدعاء ونحوهما من المدح والذم والتأكيد والالتماس[2]. كقوله تعالى «قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا» أي: لتصرفنا عما وجدنا آباءنا من المعتقدات والأفعال»

اصطلاحا:

الالتفات هو الانتقال من أسلوب إلى أسلوب هذا عند البلاغيين، فالالتفات عند السكاكي الذي قال فيه ‹‹هذا غير مختص بالمسند إليه، ولا بهذا القدر بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقا، نتقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتا والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التغير عن معنى بطريقة من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها أخص من تفسير السكاكي، لأنه أراد بالنقل أن يعبر بطريقة من هذه الطرق يعبر عنه بغيره، أو كان مقتضى الظاهرة، أن يعبر عنه بغيره منها، فكان التفات عندهم التفات

([1])– ابن منظور ,لسان العرب ,دار الصبح بيروت لبنان ,ج12 ,ص291.

([2])– التهانوي: محمد علي، موسوعة كشاف، اصطلاحات الفنون والعلوم، مراجعة رفيق العجم، تح، علي دحروج، مكتبة لبانان ناشرون، ط1، 1969، ج1، ص:251.

عنده من غير عكس››[3].

ويعرفه الخليفة العباسي عبد بن المعتز في كتاب البديع «هو انصراف المتكلم عن المخاطب إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة ويشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر قال عز وجل « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة»[4]. [يونس-22-]

وفي تعريف ابن المعتز هذا يكون الالتفات عنده يشمل شيئين: أولهما: ما عرف بالالتفات عند المتأخرين – والثاني: نوع من الاعتراض[5].

ومفهوم الالتفات عند ابن الأثير: « وحقيقة مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، كذلك يكون هذا النوع من الكلام من الكلام خاصة، لأنه ينتقل من صيغة إلى صيغة أخرى كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضي إلى مستقبل إلى ماضي أو غير ذلك»[6]

يعرفه كذلك : « خلاصة علم البيان التي حولها يدندن وإليها تستند البلاغة وعنها يعنعن » [7].

ولعل بن الأثير لهذا النوع من التراكيب يزيد القضية جلاء ووضوحًا.

فسر قدامه بن جعفر الالتفات بأنه : هو أن يكون المتكلم آخذا في معنى فيعترضه إمّا الشك فيه أوّ ظن رادًا يرده عليه ، أو سائلاً يسائله عن سببه فيلتفت إليه بعد فراغه منه

([3])- الصعيدي: عبد المتعالي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، مطبعتها، بالجماميزت، ج1، ص :151-152-153.

([4])- طبل حسن: المرجع السابق، ص:16

([5])- المراغي: محمد حسن: في البلاغة العربية، علم البديع دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1411، 1991، ص:104.

([6])- المرجع نفسه، ص:106.

([7])- العيل توفيق: بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، جامعة قطر، مكتبة الآداب، القاهرة، ص:279.

فإما أن يتحلى الشك منه ، أو يؤكده أو يذكر سببه[8].

أنواع الالتفات:

ينقسم الالتفات إلى ستة أقسام ، وذلك لأن العرب يستكثرون منه وهو سهل السامع تقبلًا ، وتتلخص هذه الأقسام في :

القسم الأول : الالتفات من التكلم للخطاب:[9].

وذلك في قوله تعالى « وَمالي لاَ أعبدٌ الذّي فَطرني وَاليه تُرْجَعُونَ » [يس- 22-]

أي أن الإنسان يعبد اللّه عز وجل وحده لا شريك له دون غيره فيجازيه عن أعماله يوم المعاد سواء خيرًا أم شَرًا .

- وهنا نجد الالتفات، ينتقل من المتكلم (وَمَالي لاَ أعْبُدُ) إلى المخاطب (تُرْجعُون).

القسم الثاني : الالتفات من التكلم إلى الغائب: [10].

قال تعال : « إنَّا أعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر فَصَلّ لربّكَ وانْحَرْ » [الكوثر-2،1-]

أي الخير الكثير الذي يعطى يوم القيامة في نهر وهذا النهر يعرف " بالكوثر"، حيث خص هذا الخير بالعبادة والذكر وذلك لشّكر اللّه عز وجل على ما أعطاهم إياه .

والالتفات يكون في الانتقال من التكلم في عبارة (إنّا أعْطَيْنَاكَ) إلى الغائب في قوله:

(فَصَل لِربّكَ) وأصلها: صل لي.

القسم الثالث: التفات من الخطاب إلى التكلم:[11].

([8])- المصري: ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح، حنفي محمد شرف، كتاب2، ص:123.

([9])- قحطان: طاهر عبد العزيز، المرجع السابق، ص:170.

([10])- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([11])- المرجع نفسه، ص:171.

في قوله عز وجل « أَمْ أَمِنْتُمْ منْ فِي السّماءِ أَنْ يُرْسِل عليْكُمْ حاصِبا فستعْلمُون كيْف نذِيرِ» [الملك-17-] .

أي أنه يرسل على عباده من السماء ريحا شديدة تحمل الحصى وهذا عقابًا على من يكذب على اللّه .

- وينتقل هنا من الخطاب وذلك في عبارة (أَن يُرْسِل عَلَيكُمْ) إلى المتكلم في عبارة (نذير)، حيث أن ياء المتكلم جاء محذوفة ، والأصل في نذير هو (تنذيري) .

القسم الرابع : الالتفات من الغيبة إلى التكلم:[12].

قال اللّه عز وجل : « أَيَحْسُبُ الإنْسَانُ أَلّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ » [القيامة -03-]

أي بعد موت الإنسان يكون الله عز وجل قادرًا على جمع عظامه من جديد والتي أصبحت رفاتا حتى يكون خلقا جديدا .

وهنا كان يتكلم بصفة الغائب (أيحْسِبُ الإنْسانُ) ثم التكلم (أَلَنْ نَجْمَعَ)

القسم الخامس؛ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:[13]

قال اللّه عز وجل « قُلْ أُوحَي إليَّ أنّهُ أسْتَمَعَ مِنَ الجنِّ فَقَالُوا إنَّا سَمِعْنَا قُرأنَاَ عجَبًا » [الجن-01-]

أي أن الله عز وجل يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن يُخبر أمته بأن هناك من الجن من استمعوا إلى القرآن فوجدوه بليغا وفصيحا فآمنوا به وصدقوه .

فنجد الالتفات هنا في الانتقال من الخطاب في قوله (قُلْ أُوحَى إلَيَّ) ثم انتقل إلى الغائب فقوله (فقَالوا إنَّا).

القسم السادس؛ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:[14].

([12])- الصعيدي : عبد المتعالي، المرجع السابق، ص:154.

([13])- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

([14])- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

قال اللّه « مَلكِ يَومِ الدِينْ، إيَّاكَ نَعبُدُ وأّياك نَسْتعِينْ »[الفاتحة – 04-]

أي أن اللّه رب العالمين ورب العباد يجازي جميع الخلائق على أعمالهم وأفعالهم، بحيث لا يعبد إلى الله وحده لا شريك له دون غيره ، كما يستعان ويتوكل عليه .

-ونجد الالتفات من الغائب (مَلِكِ يَومِ الدّينْ) إلى الخطاب (إيَّاك نَعْبُدْ)

ولا تتجلى أقسام الالتفات في القران الكريم فقط، وإنما نجدها في بعض الأبيات الشعرية لكننا أوردناها في دراساتنا في القران الكريم فقط، لأن بحثنا هذا يكمن في دراسة هذه الظاهرة في القران الكريم.

أغراض الالتفات:

إن للالتفات أغراضا كثيرة ومتنوعة، فالمتتبع له وخصوصا في القران الكريم يجد عدة أغراض تجعل هذه الظاهرة بالغة الأهمية ومن بينها ما يأتي:

1- التعظيم:

التعظيم من شأن المخاطب كقوله تعالى: «الحمد لله رب العالمين [الفاتحة-02]. فاختص الله بالحمد في كلمة (الحمد)، ثم انتقل إلى بيان ربوبيته سبحانه وتعالى حين قال (رب العالمين) ولم يقل (الحمد لك) [15].

2- المبالغة:

قال الزمخشري في هذا: فإذا قلت :«ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلتُ: المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ... ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح»[16].

وقال عز وجل: «وإذا نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم » [البقرة-49-]

([15])- قحطان: طاهر عبد العزيز، المرجع السابق، ص:177.

([16])- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

وفي هذا النسق التعبيري نجد غرض المبالغة والذي يكمن في كلمة (نجّيناكم) أي من الفعل "نجى".

3- **المدح:** قال تعالى : « وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ » [الروم-39-].

فهذا كما يرى الزمخشري « التفات حسن ... فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم مضعفون »[17].

4- الاهتمام:

قال تعالى : « ثُمَ اسْتَوى إلى السّمَاءِ وهِي دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وللأَرْضِ ائْتيا طوعَا أَوْ كَرَهًا، قالتَا أَتَينَا طَائِعينْ فَقَضاهُنَ سَبعُ سَمواتٍ في يَومَين وَأوحى فِي كُلِ سَماءٍ أمرَها، وَزَيّنا الدُنيا بِمَصابيح وَحفْظًا ذَلِك تَقْديرُ العَزيزِ العَلِيم » [فصلت -11-12-]

وجاء الالتفات في هذا المقام بالعدول عن الغيبة إلى التكلم بغية الاهتمام، ومَفاد ذَلك إن طائفة من الناس غير المتشرعين كانوا يخالون أن النجوم لبست من السماء الدنيا، وليست حفظًا ولا رجوما، فكان العدول في الكلام لكونه مهما من مهمات الاعتقاد، ولتكذيب الفرقة المدعية لذلك، يقول بن الأثير في ذلك :« والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتفقهين في الدين يعتقدون أن النجوم ليست في السماء الدنيا وإنها ليست حفظا رجوما، فلما صار الكلام إلى هنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس، لأنه مهم من مهامات الاعتقاد، وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتقدة بطلانه»[18].

5- التحذير: من خلال استخدام أسلوب الشرط نحو:

قوله عز وجل: « وإِنْ عُدتمْ عُدنَا وجَعَلنا جَهَنمْ لِلْكَافرين حَصيْرًا » [الإسراء-08-]

([17])- قحطان: طاهر عبد العزيز، المرجع السابق، ص:178.

([18])- الموصلي: بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت لبنان، 1411، 1990، ج2، ص:06

فذلك تبغيض له من العودة إلى الفعل أسلافهم وتحذير لهم من سوء العاقبة [19].

6- التهديد والتخويف:

لقد جاء الالتفات في مواطن كثيرة في القرآن الكريم لغرض التهديد والتخويف ونجد ذلك في قوله تعالى :«وَأذانٌ مّنَ اللّه ورسوله إلى النَاسِ يَوم الحّجِ الأكْبَر أن الله بَريء مِن المُشركين وَرَسُولهُ، فإنَ تُبْتمُ فَهُو خَير لَكُمْ ، وانْ تَوَليْتُمْ فَاعلَمُوا أنكُمْ غَيْر معْجزِي اللّه وبُشْر الذِينَ كَفَرُو بِعَذَابٍ اليمِ » [التوبة-03]

ويمكن هذا الغرض في قوله (فان تُبْتُمْ فَهوَ خَيرٌ لَكُمْ) لأجل التهديد من عدم التوبة

7- التوبيخ والتقريع:

ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى: « وقَالُوا اتخذ الرحْمنُ ولَدًا، لَقَد جِئْتُمْ شَيئًا إدًا» [مريم -88،89-] .

أي توبيخ الذين يقولون إن الرحمن اتخذا ولدا (سبحانه) والتقريع عليهم لأنهم أثموا بقولهم هذا .

([19])- لافي محمد محمود زقوت، لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2010، ص:137.

8- التتميم:

كقوله تعالى «إنا كُناَ مرْسَلين رحْمَة مِنَا ». فالوضع الظاهر وهو (رحمة من ربك) موضع المضمر للإنذار بأن الربوبية تقتضي الرحمة للمربوبين للقدرة عليهم ... ثم التفت بإعادة الضمير إلى الرب موضع المضمر.

9- التنبيه:

يستعمل أسلوب الانتباه بغية التنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه كقوله تعالى: ﴿***وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ***﴾ (يس 22). فالأصل هنا أن ينبههم وينصحهم ويتلطف بهم ويظهر لهم أن لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، فالأصل في القول (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم) ولما انتهى من تنبيههم التفت إلى قوله: (وإليه ترجعون) وهو الأصل في الكلام.

10- الدلالة على الاختصاص:

نجد هذا الغرض في قوله تعالى: ﴿ ***وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ***﴾ (فاطر 09).

وفي هذا الاختصاص نجده اختصاص الخالق بفعلي السوق والإيحاء إذ انتقل في هذه الآية الكريمة من الغيبة (أرسل) إلى المتكلم "سقناه وأحيينا"، ويقول الزمخشري في سبب هذا العدو أنه: "لما كان سوق السحاب وإحياء الأرض من الدلائل على القدرة الباهرة، قيل: فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه"[20].

11- غرض زيادة الإنكار واللوم:

كقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (1) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (3)﴾ (عبس 01-02-03).

([20])- الزمخشري: جار الله، الكشاف، دار المعرفة ، بيروت- لبنان، ج3،ص:27.

الالتفات هنا من الغيبة في الشطر الأول وهو (أن جاءه الأعمى) إلى الخطاب في الشطر الثاني وهو (وما يدريك) دليل على زيادة الإنكار كمن يشكو إلى الناس جانبا جنى عليه، ثم يقبل على الجاني بالتوبيخ ثم الحجة[21].

12- التسجيل وإقامة الحجة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (آل عمران-187).

أي: أنه توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب، الذين أخذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأن ينوهوا بذكره في الناس ليكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعرضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم، وعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار﴾[22].

نجد هنا أن الالتفات لم يقتصر على فائدة واحدة، بل اشتمل على عدة فوائد تناولها عدد من العلماء والباحثين، حيث بينت هذه الأغراض الجانب الجمالي للالتفات في القرآن الكريم.

وظيفة الالتفات:

إن البلاغيون اختلفوا حول مفهوم الالتفات كما اختلفوا أيضا حول وظيفة الالتفات أو بتعبير آخر حول القيمة الفنية التي تتمثل في صوره.

([21])- قحطان: طاهر عبد العزيز، المرجع السابق، ص:177.

([22])- الحافظ بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، المنصورة، 1423هـ، 2003م، ج1، ص:536.

حيث نجد أن الزمخشري أول من بدأ الاهتمام بتلك القيمة والتأصيل النظري لظاهرة الالتفات، وهنا نشير إلى أنه أول من عني ببيانها، وقد سايره فيما ذهب إليه كثير من البلاغيين الذين جاءوا من بعده أمثال: السكاكي والقزويني والعلوي وغيرهم، ورأي الزمخشري والسكاكي مؤداه أن الالتفات يحقق فائدتين وهما:

الأولى عامة- في كل صورة - إمتاع النفس والمتلقي وجذب انتباهه عن طريق التنبؤات أو التحولات التي لا يتوقعها في نسق التعبير.

والثانية : خاصة وتتمثل فيما تشيعه كل صورة من تلك الصور _ في سياقها _ من إيحاءات ودلالات خاصة[23].

- أما ابن الأثير فيقول: "إن قيمة الالتفات أو الغرض منه لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على المعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترِد فيه[24].

إذن ظاهرة الالتفات هي إحدى الظواهر الأسلوبية التي لا مشاحة في إثارتها للمتلقي، ولفت انتباهه بما في بنيتها اللغوية الخاصة من خروج- غير متوقع- عن مألوفه[25].

فوائد الالتفات:

يرى بعض العلماء أن الالتفات مشتمل على غرض رئيس واحد، وهو دفع السآمة والملل من جراء استمرار الخطاب على وتيرة واحدة وأسلوب واحد، لأن الكلام المتوالي على ضمير واحد يورث الملل ولا يستساغ.

غير أن هناك كثير من العلماء يجدون أن للالتفات فوائد جمة البلاغة، وقد أحسن الزمخشري بيانها وذلك بقوله: "إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء فيه من إجراءه على أسلوب واحد"[26].

([23])- طبل: حسن، المرجع السابق، ص:166.

([24])- الموصلي: ابن الأثير، المرجع السابق، ص: 4.

([25])- طبل: حسن، المرجع السابق، ص:27.

([26])- محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط4، 1416، 1926، ص:260.

حيث إن هذه الفائدة كبيرة، وذلك أن الكلام إذا كان في أسلوب واحد ولا ينتقل من أسلوب إلى أسلوب، فنجد السامع يمل من هذا ولا يركز ويكون غير مبال، ولكن عند الانتقال من أسلوب إلى آخر نجده يصغي جيدا ويكون مركزا على ما يقال، ذلك أن الانتقال يولد التشويق الذي يؤدي بدوره إلى التأثير في السامع.

ونجد أن الكثير من العلماء ذهبوا مذهب الزمخشري أمثال: السكاكي والقزويني، وهناك من خالفهم ومن بينهم: ابن الأثير.

إذ جاء في مجلة الدراسات الاجتماعية لجامعة صنعاء-اليمن-: "هذا المفهوم لم يستحسنه ابن الأثير؛ لأن السر البلاغي عنده يتعلق بفائدة بلاغية ليس لها ضابط ولا تحد بحدٍ، ووراء ذلك أسرار بلاغية كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه، أو على حسب موقعها في البلاغة"[27].

لكن ما أراده الزمخشري يليق بالبلاغة، وهذا ما أكده القزويني في قوله: " واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام، ووجه حُسن على ما ذكره الزمخشري"[28].

ولا نجد للالتفات هذه الفائدة البلاغية فقط، بل له فوائد أخرى بلاغية وغير بلاغية لأننا نجده في الشعر والنثر، بل نجده في القرآن الكريم قال تعالى :﴿ ***إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ*** ﴾ (الفاتحة 05). وأيضا في كلام الفصحاء من العرب خاصة في العصور السالفة، ومن فوائده أيضا: التفنن في الكلام بغية تجديد نشاط السامع واتساع مجاري الكلام، وهو هنا لا يكون محصورا في دفع الملل والسأم الناتج عن دوام الأسلوب الواحد، فإذا تغير الأسلوب وتحول السياق فهذا يحمل المخاطب على الانتباه، وفي هذا الصدد يقول الزركشي:" اعلم أن للالتفات فوائد عامة وخاصة ، فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر أما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صفائه، واتساع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية"[29].

([27])- قحطان: طاهر بن العزيز، المرجع السابق، ص:167.

([28])- قحطان طاهر عبد العزيز: المرجع السابق، ص:167.

([29])- الزركشي: بدر الدين، محمد بن عبد ربه، البرهان في علوم القرآن، ت ح: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، -لبنان-، ج3، ص:325.

ويرد الالتفات قصد المبالغة وفيها يقول الزمخشري:" (فإن قلت): ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ (قلت): المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح"[30].

ويقول عبد الله بن صولة: "إن هذا التغيير في نوع الضمائر مع بقاء الملتف عند واحد لا يتغير، ليس لمجرد الافتنان في الكلام، وليس هو لنظرية السامع وتحديد نشاطه فحسب، وإنما هو كذلك، وربما أساسا" لتوريط" هذا السامع والزج به في القضايا التي يتناولها الخطاب ولجعله طرفا فيها معنيا بها"[31].

والقول الجامع لفوائد الالتفات والمقر بها هو قول حسن إسماعيل:" وإن كان له فوائد جليلة يقتضيها المقام إلا أنه –أيضا– يثير انتباه السامع ويجدد نشاطه للإصغاء إلى تلك الفوائد فيتقبلها في شوق المنتظر، ولهفة المتطلع فتستقر في قلبه وتتمكن منه فظل التمكن"[32].

([30])– الزمخشري: جار الله، المرجع السابق، ص:8.

([31])– بن صولة: عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، كلية الآداب، تونس، ط: 2001م، ص:526.

([32])– عبد الرزاق: حسن اسماعيل، النظم البلاغية في النظرية والتطبيق، دار الطباعة المحمدية، ط1، 1983م، ص:324.

الفصل الثاني؛

الالتفات في ضوء علم الأسلوب

مفهوم الأسلوب

أوجه الالتفات

بين الالتفات والعدول

وضع الظاهرة موضع المضمر

أسلوب الالتفات والأدوات

تمهيد:

إن كل العلوم المعرفية والأدبية لها طبيعة التغير والتبدل والكاتب هنا يعود له الفضل في التباين والتحكم في النسيج اللغوي ويكون له طريقة خاصة في التعبير مع التفنن فيه وهذا ما يسمى بالأسلوب: ويعد الالتفات من ضمن الألوان البلاغية التي يعنى علم الأسلوب برصدها وتحليلها رغم وجود اختلافات بين علمي الأسلوب والبلاغة إلا أن هناك نقاط التقاء في كثير من المبادئ.

ففي هذا الفصل سوف نتناول هذا الغرض البلاغي – الالتفات– في ضوء مبادئ علم الأسلوب، وقبل هذا يجب معرفة ما هو الأسلوب؟ ثم نلج إلى دراسة الالتفات فيه.

ماهية الأسلوب:

لغة: الأسلوب هو الامتداد، ولكل شيء امتد فهو أسلوب، وكأنه (أفعول) من السلب لا يخلو من المد ومنه شجر سلب: وهو الفن والطريقة والجمع أساليب[1]، وقد عرفه محمد عبد المطلب حيث قال:" كلمة أسلوب مأخوذة من معنى الطريق الممتد، أو السطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب والأسلوب: الطريق والوجه والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب والأسلوب الفن ويقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين"[2].

يتضح من الطرح السابق أن الأسلوب هو لفظ استعمل في غير ما وضع فيه أصلا من قبل المجاز فانتقل مفهومه من المدلول المادي إلى المدلول المعنوي، ويقول فيه الزمخشري: "سلبه ثوبه وهو سليب، أخذ سلب القتيل وأسلاب القتلى، ولبست الثكلى السلاب وهو الحداد، وسلبت على ميتها فهي مسلب... وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة ومن المجاز... يقال للمتكبر: أنه في أسلوب إذا لم يلتفت يمنة ولا يسرة"[3].

إننا حين نتكلم عن أسلوب ما فلا لابد أن يكون هذا الأسلوب متميزا عن غيره من الأساليب، وعندما تقول فلان عنده أسلوب فنحن لا نقصد فقط إلى استحسان طريقته في الكتابة، بل نقصد قبل ذلك إلى أن هذه الطريقة متميزة عن غيرها من الطرق[4].

ويعرفه بيفون بقوله: "إن المعارف والوقائع والمكتشفات تتنوع بسهولة، وتتحول وتفوز إذا ما وضعتها يد ماهرة التنفيذ، وهذه الأشياء إنما تكون خارج ألإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه ولذا لا يمكنه أن ينتزع أو يحمل أو يتهدم"[5]، إن بيفون يرى بأن الأسلوب هو المرآة العاكسة لشخصية صاحبها وأفكار خطاباته وجوهرها فالأسلوب هو سمة شخصية والوسيلة التي تبرر الاختلافات الأدبية ويعطي له ابن قتيبة مفهوما آخر يقول فيه، إنما

([1])- الكوفي: أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة بيرون، 1419هـ، 1998، ط2، ص:82-83.

([2])- محمد عبد المطلب:البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، 1994، ط1، ص:09.

([3])- المرجع نفسه: ص:09-10.

([4])- عياد: شكري محمد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة الجيزة العامة، 1413هـ، 1992م، ط3، ص:14.

([5])- بيار جيرو، الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، دار الحاسوب، حلب، 1994، ط2، ص:37.

يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتتانها في الأساليب، وما خص الله به لغتنا دون جميع اللغات فإنه ليس في الأمم أو تين من العارضة والبيان واتساع المجال ما أتيته العرب خصيصي من الله"[6].

أوجه الإلتفات:

إن الالتفات في القرآن الكريم ثلاثة أوجه يرد عليها وهي كالآتي:

أولا: الالتفات من الغيبية إلى التكلم:

حيث يكون الالتفات من ضمير الغائب، إذ نجد في آية ما يتكلم عن نفسه أو المؤمنين أو المشركين بصفة الغائب ثم يتحول إلى التكلم والالتفات من الغيبية إلى التكلم لا يكاد يخرج عن معنى التعظيم، إذ ورد التحول في معظم نماذجه بنون المتكلم المعظم ذاته ولذلك يسميها النحاة نون العظمة، غير أن مغزاه البلاغي يختلف ضرورة باختلاف مقامه بحسب التبليغ والوعد بالثوب أو الوعيد بالعقاب...، ويذكر أبو حيان أن الالتفات من الغيبية إلى التكلم في مقام الإبلاغ يكون بغرض تفخيم الفاعل وما يستتبعه ذلك من تعظيم الفعل ومفعوله، وذلك في توجيهه قراءتي الفعل (ويعلمه) بالباء والنون[7].

قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران- 47-48-].

وفي هذه الآية نجد أنه قال (قال كذلك) هنا الضمير يعود على الرب ويكون هذا من المقول (الرب) لمريم على سبيل التبشير بالولد الذي أوجده الله، وهنا أيضا يكون الله قد أخبر مريم بأنه يخلق الأشياء الغريبة من غير عادة، كما خلق لها ولد من غير أب، وأنه يعلمه الكتاب والحكمة:" وقيمة الالتفات إلى التكلم في الآية الكريمة أنه يضيف إلى تفرد الحكمة التي ماز الله بها عيسى عليه السلام من سائر البشر، نوعا آخر من الخصوصية إذ يصنعه الله سبحانه وتعالى على عينه ويتفرد بتعليمه لإظهار بركته تبشيرا لأمه مريم وخبر

([6])- محمد عبد المطلب، المرجع السابق، ص :11.

([7])- أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقرآت القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، ص:347.

لقولها "أنى يكون لي ولد..." وإزاحة لما أهمها من خوف اللوم عندما أخبرت أنها ستلد من غير زوج"[8].

ونجد الالتفات من الغيبة إلى التكلم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ الفرقان 48.

والمقتضى هو (أنزل) .

فقدرة الله عز وجل عظيمة بحيث يسير الرياح كما يسير السحب التي تنقلها الرياح، فينزل من تلك السحب ماء مطهرا لا ينجسه أي شيء.

ثانيا؛ الالتفات من الخطاب إلى التكلم:

هو أن ينتقل من موضوع الخطاب إلى مخاطبة المشركين والتقريع عليهم وتحذيرهم إلى ضمير المتكلم والالتفات من الخطاب إلى التكلم لا نجده كثيرا، فلقد صرح الدكتور سالم محسن بأن هذا النوع نادر الوقوع ومثال ذلك قوله عز وجل: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ هود -90.

الآية الكريمة عبرت عن الذات الإلهية بأسلوب الخطاب (واستغفروا ربكم) ثم عدلت فعبرت عنها بأسلوب التكلم (إن ربي).

كما نجد من يقول بأنه لا يوجد في القرآن الكريم إلا موطن واحد من هذا النوع ونجده في قوله تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (21) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(22)**﴾[يس 21-22].

وفي هذا النوع الثالث نجد حسن الظن إذ من غير اليسير تحقيق توازن بين موقفي التكلم والخطاب فلا يمكن أن يتصور الإنسان نفسه مخاطبا ومتكلما في مقام واحد إذ يقول "الواقع أن الالتفات في هذه الصورة مما يندر تحقيقه في لغة الكلام وذلك للتوازي أو التباين التام بين موقفي الخطاب والتكلم، ففي الموقف أو السياق الواحد لا يتصور أن يكون الشخص الواحد إلا على نحو من أنحاء التجوز متكلما ومخاطبا أو مرسلا ومستقبلا في آن

([8])- أحمد سعد محمد، المرجع السابق، ص:348.

واحد، وقد سبق أن رأينا أن صورة الالتفات لا تتحقق إلا إذا كان المراد المتلقي إليه هو عين المراد بالملتفت عنه""[9].

ثالثا؛ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

هو الوجه الأخير من الأوجه التي يرد فيها الالتفات والذي هو محور دراستنا، فهو أننا نجده يتكلم عن نفسه أو المشركين أو المؤمنين بضمير الغائب، ثم يعدل إلى المخاطب فقد جاء في كتاب التوجيه البلاغي للقرآن للدكتور أحمد سعد محمد حيث يقول "الالتفات من الغيبة إلى الخطاب... ينطوي على معنى الإقبال على المخاطبين أو مواجهتهم بالمنقول إليه، وذلك بحسب المقام واعدا كان أم وعيدا، كم يدل على مجرد التفاوت بين مقام المخبر عنه بالغيبة ومقام الذين يقبل عليهم بالخطاب""[10].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89)﴾ مريم 88-89.

وهنا انتقل الأسلوب من الغيبة (وقالوا) إلى الخطاب وذلك حيث قال (لقد جئتم)، وهو مجابهة المشركين بباطلهم ورمي به في وجوههم وقوله عز وجل أيضا:"﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ الفاتحة 05.

جرى الأسلوب على طريقة الغيبة في قوله (*الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* ..... يَوْمِ الدِّينِ) منتقلا إلى الخطاب في قوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ).

ويلحظ بن الأثير في صياغة (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) فرقا دقيقا بين أنعمت عليهم حين الإنعام صراحة إليه وبين (غير المغضوب عليهم) حيث تحايل الداعي في أمر الغضب فلم يسنده إليه، ولم يقل غضبت عليهم ليوازن ما قبله"[11]، ويفسر بن ألأثير هذا القول تفسيرا واعيا بأحوال النفوس المتضرعة بهذه الآيات.

هذه هي أوجه الالتفات وشواهدها وقد رأينا أن مزيته البلاغة تختلف من أسلوب إلى أسلوب ولا يمكن أن نضبطه ونحدد مزاياه، والمهم في إدراكه هو حسن التأتي، وصدق النظر والوعي بسياق الكلام ونوع المعنى، نعم هناك فائدة عامة لهذه الخصوصية تتحقق أينما وجدت.

([9])- طبل حسن، المرجع السابق، ص:116.

([10])- أحمد سعد محمد، المرجع السابق، ص:342.

([11])- المرجع نفسه، ص:258.

يقول السكاكي: "والعرب يستكثرون منه ويرون أن الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب دخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ بالاستدرار إصفاءه، وهم أحرياء بذلك فأن ليس قري الأضياف سجيتهم ونحر العشار لضيف وأبهم وهجيراهم لا مزقت أيدي الأدوار لهم أديما، ولا أباحت لهم حريما، أفتراهم يحسنون قرى الأشباح فلا يخالفون بين لون ولون وطعم وطعم، ولا يحسنون قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد[12].

بين الالتفات والعدول:

من خلال ما سبق شرحه حول مفهوم الالتفات وماهيته وأغراضه البلاغية نجده يتداخل ومفهوم العدول، إذ كثيرا ما يستهل الباحثون أحد اللفظين للدلالة على المعنى ذاته إلا أنه من خلال مفهومهما نستطيع بيان أوجه الاختلاف بينهما، فأما الالتفات، بينا أنه التحول أو الانحراف عن المألوف من القيم والأوضاع أو أنماط السلوك.

أما العدول: لغة نجده ورد عند الخليل بمعنى "العدل" المرضي من الناس قوله، والعدولة والعدل: الحكم بالحق... وعدل الشيء: نظيره هو عدل فلان... وعدلت فلان بفلان أعدل به" [13].

أما اصطلاحا فهو من أهم المباحث التي ترصد انحراف الكلام عن نسقه المثالي المألوف ويعبر عنه **جون كوهين** بالانتهاك الذي عدت فيه الصياغة والدي يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب[14]، ومنه نجد البلاغيين ينظرون إلى اللغة في مستويين:

الأول: مستواها المثالي في الأداء العادي أي في التداول .

والثاني: هو المستوى الجمالي الفني الإبداعي الذي يخترق فيه المتحدث أو مستعمل اللغة المثالية، ومن ثم فإن الالتفات قد نجده يعنى بعلم البيان وعلم البديع، كما يعنى باستعمال اللغة فهو يجمع بين التحول الأسلوبي تارة والانحراف على أنماط اللغة تارة أخرى في حين يعنى العدول بالمعاني.

([12])- العاكوب : عيسى علي الشتيوي علي سعد، الكافي في علوم البلاغة العربية، المعاني، البيان، البديع، منشورات الجامعة المفتوحة 1993، الكتاب الأول، المعاني، مطبعة الانتصار، ص:153.

([13])- الفراهيدي: الخليل بن أحمد بن أحمد، العين، تح، مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، ج02، ص:39.

([14])- محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوب، مكتبة لبنان، المصرية العالمية، 1991ن،ط1،ص:268.

ويذكر عند القاهر الجرجاني أن عملية العدول تتمثل فيما صرح به بأن التقديم يتم على وجهين: الأول: تقديم على شبه التأخير وذلك يشتمل:"في كل شيء أقررته مع التقدم على حكمة الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك منطلق زيد وضرب عمرا زيد معلوم أن (منطلق) و(عمرا) لم يخرجا لتقديم عما كان عليه من كون هذا خبرا مبتدأ ومرفوعا بذلك، وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله كما يكون إذا أخرت"[15].

كما يكمن الفرق بينهما في كون الالتفات التحول من أسلوب إلى أسلوب وانصراف من طرق التغيير الثلاثة، فيما يعد العدول الانتقال من أصل الشيء قصد المبالغة لبيان قيمة فنية.

حين اطلاعنا على مصطلحي العدول والالتفات نجدهما في مجملهما لهما المعنى البلاغي نفسه، لكن إذا تمعنا في دراستهما نجد لهما اختلافات دقيقة وجوهرية.

وضع الظاهرة موضع المضمر:

تشكل ظاهرة العدول في وضع الظاهرة موضع المضمر محورا أساسيا من محاور الالتفات ويكون فيه الإبهام والإخفاء، ونجد ذلك "في باب نعمة وبئس كقولنا: نعم فتاة هند، حيث جئت بالمسند إليه (فاعل نعم) ضميرا مستترا في نعم، ومقتضى الظاهرة أن نقول نعم الفتاة هندا"[16].

ونجد ذلك في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا .﴾[النساء- 37-].

فمقتضى الظاهرة أن يقول: وأعتدنا لهم، لكنه عمد إلى وضع الظاهرة موضع المضمر، إشعارا من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى، ومن كان كافرا بنعمة الله تعالى فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء.

فنجده عند وضعه للظاهرة موضع المضمر يكون ذلك قصد التهويل والروعة وبيان كفر المشركين، فلا يخص شخصا أو فئة في ذلك بل يكون أسلوبه مضمرا فنلاحظ:

([15])- محمد عبد المطلب، المرجع السابق، ص:283.

([16])- زقوت، لافي محمد محمود، المرجع السابق، ص:139.

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ المائدة 60.

فكلمة (من لعنة الله) يلقي في النفس شعورا بالمهابة والروعة والتهويل لأمر اللعن والغضب والطرد.

فنجده يتكلم بصفة المخاطب في قوله (أنبئكم) ثم ينتقل بعد ذلك ليتكلم بصفة الغائب، أي أنه انتقل من الخطاب إلى الغيبة في قوله (جعل).

ونجد الإضمار واردا في قوله عز وجل:﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (7) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (8)﴾[الفرقان- 07—8-].

ففي الآية الكريمة نجد الإضمار في صيغة (قالوا) بدل أن يقول (وقال الظالمون) والمراد بهذه الصيغة أن المفترين على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي افتراءات كاذبة زاعمة أن يكون الرسول ثريا من الأثرياء، صاحب كنوز وجنات وظاهرة الالتفات في الآية وجدت في قوله (وقالوا) حيث تحدث بضمير الغائب وبعدها التقت إلى مخاطبة الظالمين في قوله (إن تتبعون) وذلك قصد بيان شدة قبح قولهم في الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مسحور.

أسلوب الالتفات في الأدوات:

نجد كثيرا من الآيات القرآنية الالتفات الذي قد نجده يرد على عدة أوجه وأقسام، كما قد نجده يرد في العديد من الأدوات وفي هذا النوع الأخير نجد أسلوب الالتفات يرد على الصورتين التاليتين:

أ- المخالفة في الأدوات المتماثلة:

نقصد بالمخالفة في الأدوات المتماثلة هو العدول عن أداة أخرى تشترك معها أداء الوظيفة العامة ولكن هاتين الأداتين يختلفان في أداءهما الخاص وتكون هذه المخالفة قصد التنوع في الأداة قال تعالى:﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة- 60 -].

جاء في الآية الكريمة التفات عن حرف الجر "اللام" الوارد في صدر الآية إلى حرف الجر "في" حين يشترك الحرفان في تأدية معنى وظيفي مشترك عام يتمثل في التعليق غير أنهما ينفردان في تأدية خاصة، فنجد الأول يفيد معنى الملكية والثاني يفيد التعليق عن معنى الظرفية، وبما أن هذه وظيفة كل حرف منهما، جاء العدول من الأول للثاني لتبيان ذلك، يقول الزمخشري:"للإيذان بأنهم (الرقاب، الغارمين، سبيل الله) أرسخ في استحقاق التصدق عليهم مما سبق ذكره لأن "في" للوعاء، فنية على أنهم أحق بأن توضع فيهم الصدقات، ويجعلوا مظنة لها ومصبا، وذلك لما في الرقاب من الكتابة أو الرق أو السر وفي فك الغارمين من التخليص والاتقاء، ولجميع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة، وكذلك بن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال، تكررا "في" في (في سبيل الله وبن السبيل) فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين"[17].

ب- حذف الأداة وذكرها:

ويتمثل هذا أن يكون الالتفات (في سياق واحد) في ذكر الأداة إلى حذفها أو العكس وفي قيمة تعبيرية كبيرة وهذه القيمة تقتضي هذا أو ذاك قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ • أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ • لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ • إِنَّا لَمُغْرَمُونَ • بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ • أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ • أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ • لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة، -76-80-]

فالملاحظ هنا ذكر لام التوكيد في "لو شاء لجعلناه" ثم بعد ذلك تم حذفها في "لو نشاء جعلناه" وفي قوله "أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون " وفي قوله "أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون" نجد إقرار باختصاص فعلي والإنبات للخالق عز وجل، لذلك جاءت المخالفة في ذكر الأداة وحذفها لغرض التوكيد على أن إنزال المطر وإنبات الزرع من الخالق ولا يوجد سبيل لإنكار ذلك، فلا توجد قدرة واستطاعة لمخلوق ما أن يدعي القدرة على إنزال الماء من السماء فلذلك حذفت لام التوكيد لأنه لا توجد حاجة لتوكيد هذا الفعل.

([17])- الزمخشري المرجع السابق، ج2، ص:109.

الفصل الثالث؛

دراسة تطبيقية "سورة الشعراء"

سورة الشعراء

سبب التسمية

سبب نزول السورة

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

الالتفات من الغيبة إلى التكلم

الالتفات من الخطاب إلى التكلم

سورة الشعراء:

سورة الشعراء هي سورة مكية، وقد عالجت أصول الدين من التوحيد والرسالة والبعث شأنها شأن سائر السور المكية التي تهتم بجانب العقيدة وأصول الإيمان .

ثم ختمت السورة بالرد على افتراءات المشركين في زعمهم أن القرآن منزل من الشياطين، ليتناسق البدء مع الختام.

سبب التسمية

سميت "سورة الشعراء" لأن الله تعالى ذكر فيها أخبار الشعراء، وذلك للرد على المشركين في زعمهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان شاعراً، وأن ما جاء به من قبيل الشعراء، فردَّ الله عليهم ذلك الكذب والبهتان بقوله ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمْ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ [224--225-226-] وبذلك ظهر الحق وبان.

سبب نزول االسورة:

عن أبي الحسن مولى بني نوفل أن عبد الله بن رواحة وحسن بن ثابت أتيا رسول الله حين نزلت "الشعراء" يبكيان وهو يقرأ " والشعراء يتبعهم الغاوون " حتى بلغ " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " قال " أنتم " وذكروا الله كثيرا " قال أنتم " وانتصروا من بعدما ما ظلموا " قال أنتم " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " قال الكفار.

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (18).

نجد الالتفات من الغيبة في قوله (قال ألم نربك فينا وليدا) إلى الخطاب حيث خاطب موسى بقول (ولبثت فينا من عمرك سنين) في معنى الآية: ربيناك صغيرا ولم نقتلك في

جملة من قتلنا... فمتى كان هذا الذي تدعيه[1] وهذا الوجه من الالتفات جاء لغرض المنّ والاحتقار، احتقار موسى والمن عليه بأنه هو من رباه صغيرا ولم يقتله مع من قتل من المواليد.

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(22).

هذه الآية فيها اختلف الناس فقد قيل أن هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الإقرار بالنعمة أي: نعم أنت أنعمت علي بتربيتي، وقيل أنه من موسى عليه السلام على جهة الإنكار أي: أتقول أنك ربيتني وليدا وأنت من استعبد وقتل بني إسرائيل[2] فلو لم تقتل بني إسرائيل لربياني والدي وترعرعت تحت جناحيهما فأي نعمة هذه التي أنعمتها علي.

وموضع الالتفات في هذه الآية في قوله (وتلك نعمة) وهو كلام عن الغائب ثم انتقل يخاطب بني إسرائيل في قوله (على أن عبدت بني إسرائيل) وتقدير القول هنا: ليس لديك أي نعمة علي فأنت من قتل بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (24) غرض هذه الآية الحجة على فرعون حين سأل (وما رب العالمين) فأجابه موسى بهذه الآية مكان موضع الالتفات في قوله (قال) ثم التفت (إن كنتم موقنين) فالأولى كانت بضمير الغائب وهو ضمير مستتر (هو) أي: هو قال رب السموات والأرض، ثم التفت مخاطبا في قوله (إن كنتم موقنين) وبين موسى في هذه الآية أن الله رب الكون كله فهو رب السموات والأرض وما بينهما.

قال تعالى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ (25) التفت من قوله: (قال لمن حوله) أي فرعون وتكلم عنه بضمير الغائب ثم التفت مخاطبا بني إسرائيل بقوله: (ألا تسمعون) وفي غرض يكمن الإغراء والتعجب ردا على موسى، وجاء في كتاب الجامع لأحكام القرآن في معنى

([1])- أبو عبد الله محمد بن القرطاجني: الجامع لحكام القرآن المبين من السنة والقرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج16، ص:16.

([2])- المرجع نفسه، ص:18

هذه الآية: "ألا تسمعون" على معنى الإغراء والتعجب من سفه المقالة إذ كانت عقيدة القوم أن فرعون ربهم ومعبودهم، والفراعنة قبله كذلك"[3].

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾(26) والالتفات هنا من الغيبة (قال ربكم) إلى الخطاب (ورب آباءكم) وفي هذه الآية رد موسى على قول فرعون فقد أقام الحجة على بني إسرائيل بأن لهم آباء فنوا، وأن آبائهم كانوا قبل أن يكونوا هم وأنهم لابد لهم من مغير، ولابد لهم من مكون.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (27). كذلك الالتفات في هذه الآية من الغيبة (قال إن) إلى الخطاب (الذي أرسل إليكم) وقول فرعون هذا بغرض الاستخفاف من موسى عليه السلام فقد اتهمه بالجنون وقال في معنى الآية أن رسولكم لم يجبني عما أسأل.

قال تعلى: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وهذه الآية هي جواب موسى على فرعون ومعناها ليس ملك كملكك، لأنك إنما تملك بلدا واحدا لا يجوز أمرك في غيره، ويموت من لا تحب أن يموت، والذي أرسلني يملك المشرق والمغرب[4] والالتفات هنا في قوله (قال رب) أي من الغيبة إلى مخاطبة فرعون وقومه بقوله (إن كنتم تعقلون) أي إن كنتم تلاحظون .

قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾(29)

موضع الالتفات في قوله (قال لئن... لأجعلنك) وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب، وفي هذه الآية رجع فرعون –لعنة الله– إلى الاستعلاء والتغلب فتوعد موسى بأنه إن اتخذ إله غيره فسوف يسجنه، ولم يقل ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك، لأن فيه اعترافا بأن ثمة إلها غيره وفي توعده بالسجن ضعف[5].

([3])– أبو عبد الله محمد بن القرطاجني: المرجع السابق، ص:21.

([4])– المرجع نفسه، الصفحة نفسها

([5])– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ (30)، ونجد الالتفات من الغيبة في (قال) وكان يقصد بها موسى في البادئ تكلم عنه بضمير الغائب ثم التفت يخاطب فرعون في قوله (لو جئتك) فموسى هنا طمع في إخافة فرعون في قوله: لو جئتك بشيء مبين يتضح به صدقي[6].

قال تعالى: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (31) وفي هذه الآية أيضا نجد الالتفات من الغيبة في قوله (فقال) إلى المخاطب في كلمة (فأت به) ففي الآية كان يتكلم عن فرعون بصفة الغائب أي: "قال فرعون" فهنا أراد فرعون معارضة موسى وأراد أن يتعداه فنجده يخاطبه بقوله (فأت به إن كنت من الصادقين)، ولم يحتج الشرط لجواب الشرط عن سيبويه[7].

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، موضع الالتفات في هذه الآية نجده بين كلمة (بسحره) فقد كان يتكلم عن موسى بصفة الغائب ثم التفت يخاطب القوم بقوله (فماذا تأمرون) فغرض الالتفات هنا التحذير فهو يحذر القوم من أن موسى عليه السلام لساحر عليم ويسألهم ماذا أنتم فاعلون بخصوص هذا الوضع الذي انتم فيه.

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾(36)، وفي هذه الآية موضع الالتفات في (قالوا) والضمير المستتر تقديره (هم) ويقصد بها قوم موسى عليه السلام فقد تحدث عنهم بصيغة الغائب ثم عدل إلى المخاطب (وابعث)، وقد وجد هذا الالتفات لفائدة مفادها نظرية نشاط السامع وعدم مله من أسلوب واحد لذلك نجد التنوع في الأسلوب، التحدث بصفة الغائب ثم المخاطب وفي آيات أخرى إلى المتكلم.

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾(39) وهذه الآية كسابقتها نجد فيها الإلتفات من الغيبة (وقيل) إلى الخطاب (هل أنتم) لغرض التنبيه ولفائدة معلومة وهي نظرية نشاط السامع، في قوله (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم كما

([6])- أبو عبد اله محمد بن أحمد القرطاجني، المرجع السابق، ص:22.

([7])- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

يقول الرجل لغلامه (هل أنت منطلق)، إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كما يخيل إليه أن الناس قد انطلقوا وهو واقف[8].

قال تعالى: ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾(42)، في قوله (قال) ثم عدوله إلى قوله (إنكم) فيه التفات من الغيبة (قال) إلى الخطاب (إنكم) أي أن فرعون توعد السحرة، إن هم تغلبوا على سحر موسى كما يزعم ليكونوا من المقربين وليكون لهم أجر كبير.

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ (43) عدل في هذه من الغيبة (قال) إلى المخاطب (ألقوا) آمرا إياهم بأن يلقوا ما استطاعوا تحضيره .

قال تعالى: ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(49). وقع الالتفات من الغيبة (قال) أي فرعون والضمير الدال عليه هو ضمير مستتر تقديره (هو) فرعون، إلى الخطاب (ءامنتم)، فبالغ في التغير من جهة قوله (ءامنتم له قبل أن آذن لكم)، موهما أن مسارعتهم للإيمان دليل على ميلهم قبل، وبقوله(إنه لكبيركم) صرح بما رمزه أولا من مواطأتهم وتقصيرهم ليظهر أمر كبيرهم[9].

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ (70) عدل في هذه الآية من الغيبة في قوله (قال) إلى المخاطب (ما تعبدون) وهذا الالتفات غرضه التحذير فإبراهيم يحذر والده ويسأله ما الذي يعبدونه هو وقومه وهذا الاستفهام بمعنى التحقير والتقرير.

قال تعالى:﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾(72)، ففي اللفظتين (قال) و(يسمعونكم) التفات من الغيبة إلى الخطاب قال الزمخشري: « وجاء مضارعا مع إيقاعه في (إذ) على حكاية الحال الماضية. ومعناه: استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها، وقولوا هل يسمعوا أو اسمعوا قط .وهذا أبلغ في التبكيت"[10].

---

(8)- أبو حيان الأندلسي: محمد يوسف: البحر المحيط، تح، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معرض، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان: ط1، ج7،ص:08.

(9)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

(10)-المرجع نفسه، ص:10

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾(75)، وفي هذه الآية أيضا ورد الالتفات في (قال) أي الغائب ثم عدل عنها إلى المخاطب (أفرأيتم) ونجد إبراهيم عليه السلام يريد تذكير قومه بما كان يعبد آباءهم الأولون وأن ما كانوا يعبدون من أصنام لم تمنع فناءهم.

قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (92)، ففي هذه الآية نجد الالتفات في لفظة (لهم) وهم ضمير الغائب ثم انتقل إلى المخاطب (ما كنتم تعبدون) أي أين ذهب ما كنتم تعبدونه وهذا الالتفات غرضه التقريع والتأنيب وفائدته لفت الانتباه واستدراك ما يجري .

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ فبين اللفظتين (لهم وأخوهم) ولفظة (تتقون) عدول عن الغيبة إلى الخطاب، وجاءت لفظة (أخوهم نوح) قصد نسبة نوح إلى قومه وقوله ألا تتقون بمعنى التحذير أي ألا تخافوا عقاب الله.

قال تعالى:﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (111) يوجد في هذه الآية عدول عن الغيبة (قالوا) وتعود على القوم إلى المخاطب (لك واتبعك) أي كيف نؤمن بما تؤمن به وكيف نتبعك وقد اتبعك أرذال قومنا فنصبح متساوين معهم.

قال تعالى:﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ (113) عدل في هذه الآية أيضا عن الغيبة (حسابهم) والفاعل هنا ضمير مستتر تقديره هم أي القوم إلى المخاطب في (تشعرون) ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم، ثم بنى جوابه على ذلك فيقول ما علي إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش على أسرارهم، والشق على قلوبهم وإن كان لهم شيء فالله محاسبهم ومجازيهم، وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز[11].

قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾(116) جاءت كلمة (قالوا) تفيد الغائب ويعود فيها على القوم وبعدها نجده يعدل عنها إلى قوله (لتكون) أي إن لم تكف عن ما تفعله سوف تكون من المجرمين وتكون عدو مبين وغرض الالتفات في هذه الآية التهديد.

([11])- أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف، المرجع السابق، ص:22.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾(124) ويقصد بأخوهم هود أي أخوهم في النسب فهو نسبه إلى قومه فيقول أخوهم، فقد جاء الالتفات في هذه الآية الكريمة من الغيبة (قال لهم) ضمير الغائب (هم) يعود إلى القوم، إلى المخاطب (تتقون) وغرض هذا الاستفهام هو الاحتقار والتهديد.

قال تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ (136) موضع الالتفات في هذه الآية من قوله (قالوا) إلى قوله (لم تكن) وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب وغرضه الاستخفاف أي وعظتنا أم لم تعظنا فهو سواء.

قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾(142) وفي هذه الآية أيضا قال أخوهم صالح بغرض نسبة صالح إلى قومه وقد عدل عن لفظة الغائب (قال) إلى المخاطب (تتقون) بغرض التنكير والتقرير وهو هنا يسأل قومه أن يتقوا الله ويكفوا عما يعبدون.

قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾(153) قوله، (إنما أنت من المسحرين) هو من السحر في قول مجاهد وقتادة على ما قاله المهدي أي أصبت بالسحر فبطل عقلك، لأنك من البشر مثلنا، فلم تدعي الرسالة دوننا[12].

وموضع الالتفات في هذه الآية في قوله (قال) ثم لتفت إلى قوله (إنما أنت) ووجه هذا الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

الالتفات من الخطاب إلى التكلم:

في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾(83)، وموضع الالتفات في هذه الآية من الخطاب في قوله (هب لي) إلى التكلم في قوله (ألحقني) ففي الآية سأل إبراهيم عليه السلام أن يؤتيه ربه حكما، قال ابن عباس: وهو العلم، وقال عكرمة: هو اللب وقال

([12])- أبو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف، المرجع السابق، ص:66.

جاهد: هو القرآن، وقال السدي: هو النبوة، ثم قال اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة[13].

والغرض من هذا الالتفات هو الاهتمام، وأما فائدته هي تطرية نشاط السامع والإصغاء الجيد.

قال تعالى: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (86) فالالتفات هنا كان في قوله (اغفر) ثم انتقل إلى التكلم فقال (كان من الضالين)أي: هذا الدعاء بسبب الوعد الذي قال لأبيه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾، قل تعالى:﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[14].

والغرض هنا هو التتميم لفائدة فهم السامع وتطرية نشاطه

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (108)

وقع الالتفات من الخطاب إلى التكلم في قوله (فاتقوا) وقوله (أطيعون) أي: فيما آمركم به ولأنهاكم عنه، فإن هذا هو الذي يترتب على كونه رسولا إليهم، أمينا ، فلذلك رتبه بالفاء الدالة على السبب فذكر السبب الموجب[15]. والالتفات هنا قصد غرض التعظيم.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (109)، فكان الالتفات هنا في قوله (أسئلكم) منتقلا إلى المتكلم في قوله (إن أجري)، وقد ذكر انتفاء المانع في قوله "وما أسئلكم..... العالمين" فتتكلفون من المعزم الثقيل وهو يرجو بذلك القربمنه والثواب الجزيل[16]. والالتفات في هذه الآية جاء بغرض التتميم.

([13])- ابن كثير،المرجع السابق، ج3، ص:416.

([14])- السعيد: عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح، عبد الرحمن بن معلى اللويحق، مكتبة دار الريان، الجزائر، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط1، 1424هـ، 2003م، ص:564.

([15])- السعيد: عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص:565.

([16])- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

قال تعالى: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(118)، فالالتفات من الخطاب في قوله (فافتح) إلى الخطاب (نجني). أي أهلك الباغي منا، وهو يعلم أنهم البغاة الظلمة[17]. وغرض الالتفات هو التنبيه.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (186) الالتفات هنا في قوله (أنت) وقوله (نظنك)، أي تتعمد الكذب فيما تقوله، لا أن الله أرسلك إلينا[18]. وغرض الالتفات هو غرض الزيادة الإنكار واللوم.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (205) الالتفات جاء من الخطاب إلى التكلم في قوله (أفرأيت) وقوله (متعناهم) وهو يعني بذلك أفرأيت إذ لم تستعجل عليهم بإنزال العذاب، وأمهلناهم عدة سنين يتمتعون في الدنيا[19]. والالتفات هنا قصد غرض التحذير.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (216) جاء الالتفات في قوله (عصوك) وكذلك في قوله (إني بريء) أي أن الله قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن عصوك في أمر من الأمور قلا تتبرأ منهم، ولا تترك معاملتهم بخفض الجناح ولين الجانب بل تتبرأ من أعمالهم، فعظهم عليه وانصحهم، وابذل قدرتك في ردهم عنه وتوبتهم منه[20]. وغرض الالتفات التهديد والتخويف.

الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (07)، فالالتفات جاء من الغيبة في قوله (يروا) منتقلا إلى التكلم في قوله (أنبتنا فيها)، ومعنى ذلك أن الله هو القاهر العظيم القادر الذي خلق الأرض وأنبت فيها من كل زوج كريم، من زرع وثمار وحيوان، قال سفيان الثوري: عن رجل عن الشعبي: الناس من نبات الأرض، فمن دخل

([17])- السعيد: عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص:566.

([18])- ابن كثير: المرجع السابق، ص:425.

([19])- السعدي: المرجع السابق، ص:569.

([20])- المرجع نفسه، ص:270.

الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم[21].والالتفات كان قصد غرض الدلالة على الاختصاص لفائدة الفهم الجيد.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ (12)

جاء الالتفات هنا من الغيبة إلى التكلم من خلال قوله (قال) وقوله (يكذبون)، أي إنه كلام موسى عليه السلام قاله ليعتذر من ربه، ومبينا لعذره[22]. وغرض الالتفات في الآية الكريمة هو التنبيه والتخويف.

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ (14) فالالتفات هنا جاء في قوله (ولهم) وقوله أيضا (أخاف) أي في قتل القبطي[23]. والالتفات جاء بغرض التخويف والتهديد.

قال تعالى ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾(15) ففي هذه الآية ورد الالتفات من الغيبة في قوله (قال) منتقلا إلى التكلم في قوله (إنا معكم)، أي: لا يتمكنوا من قتلك، فإنا سنجعل لكما سلطانا قال عز وجل ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ ولهذا لم يتمكن فرعون من قتل موسى، مع منابذته له غاية المنابذة، وتسفيه رأيه، وتضليله وقومه، واذهبا بالآيات الدالة على صدقكما وصحة ما جئتما به، وإني أحفظكما وأكلؤكما[24]. وغرض الالتفات في هذه الآية هو التسجيل وإقامة الحجة.

قال تعالى:﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾(20) الالتفات هنا في قوله (قال) وانتقل إلى التكلم في قوله (وأنا من الضالين)، قال موسى من غير كفر، وإنما كان عن ضلال وسفه ، فاستغفرت ربي فغفر لي [25]. والالتفات جاء قصد غرض التوبيخ والتقريع والفائدة.

([21])- ابن كثير: المرجع السابق، ص:408.

([22])- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص:561.

([23])- المرجع نفسه: الصفحة نفسها

([24])- المرجع نفسه: الصفحة نفسها

([25])- المرجع نفسه: الصفحة نفسها

قال تعالى﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (41)، الالتفات هنا في قوله (جاء، وقالوا) وكذلك في قوله وهو ينتقل إلى المتكلم (إن كنا نحن الغالبين)، أي عند مجيء جميع السحرة إلى مجلس فرعون وقد ضرب له وثاقا، وجمع حشمه وخدمه وأمراءه ووزراءه ورؤساء دولته وجنود مملكته، فقال السحرة بين يدي فرعون، يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا، أي هذا الذي جمعنا من أجله فقالوا: إذا كنا نحن الغالبين أن توفينا أجرا عظيما[26]. وجاء الالتفات في هذه الآية بغرض زيادة الإنكار واللوم.

قال تعالى:﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (44)، فالالتفات جاء في قوله (فألقوا... قالوا) ثم قال (إنا لنحن)، ومعنى ذلك أنهم ألقوا عصيهم وحبالهم فإذ هي تسعى، وسحروا بذلك أعين الناس، فاستعانوا بعزة عبد ضعيف عاجز من كل وجه، إلا أنه قد تجبر، وحصل له صورة ملك وجنود، فغرتهم تلك الأبهة، ولم تنفذ بصائرهم إلى حقيقة الأمر أو أن هذا قسم منهم بعزة فرعون، والمقسم عليه أنهم غالبون[27].وغرض الالتفات هنا هو المبالغة والفائدة .

قال تعالى:﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ.﴾(47) جاء الالتفات في هذه الآية في قوله (قالوا) و(آمنا)، ومعنى ذلك أن القمع الباطل في ذلك المجتمع، وأقر رؤساؤه ببطلانه ووضح الحق وظهر، حتى رأى ذلك الناظرون بأبصارهم، ولكن أبى فرعون إلا عتوا وضلالا ،و تماديا في غيه وعناده[28].

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾(50)، الالتفات جاء في الآية الكريمة من خلال الانتقال من الغيبة في قوله (قالوا) إلى التكلم في قوله (إنا)، أي لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به والمرجع إلى الله عز وجل، وهو لا يضع أجر من أحسن عملا، ولا يخفى عليه ما فعلت بنا، و سيجزينا على ذلك أتم الجزاء[29]. وغرض الالتفات هنا هو المدح.

([26])- ابن كثير: المرجع السابق، ص:411.

([27])- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص:562.

([28])- المرجع نفسه: الصفحة نفسها

([29])- ابن كثير: المرجع السابق، ص:412.

قال تعالى﴿ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)، الالتفات جاء في قوله (قال) وقوله (معي ربي)، أي: لا يصل إليكم شيء مما تحذرون، فإن الله سبحانه هو الذي أمرني أن أسير هاهنا بكم، وهو لا يخلف الميعاد[30]، ويكمن غرض الالتفات في هذه الآية المدح.

قال تعالى:﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴾(71)، يكمن الالتفات في قوله (قالوا نعبد) وقوله (نظل)، أي نعبد ما ننحت بأيدينا ونعملها، ونحن مقيمين على عبادتها في كثير من أوقاتنا[31]. وغرضه هنا الإنكار واللوم.

قال تعالى:﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (74)، الالتفات جاء من الغيبة في قوله (قالوا) منتقلا إلى المتكلم في قوله (وجدنا)، أي: اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك، وإنما رأوا آبائهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم يهرعون[32]. وجاء غرض الالتفات لزيادة الإنكار.

قال تعالى:﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾(78)، الالتفات في الآية الكريمة جاء في قوله (الذي خلقني) وقوله (يهدين)، لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء، وهو الخالق الذي قدر قدرا، وهدى الخلائق إليه، فكل يجري على ما قدر، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء[33]. والالتفات هنا لغرض التتميم.

قال تعالى:﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾(79)، الالتفات هنا في قوله (الذي هو) وقوله (يطعمني ويسقين)، أي أنه هو خالقي ورازقي، بما سخر ويسر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المزن وأنزل الماء وأحيا به الأرض واخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد وأنزل الماء عذبا زلالا لـ ﴿ وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ [34].

([30])- ابن كثير: المرجع السابق، ص:413.

([31])- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص:563.

([32])- ابن كثير: المرجع السابق، ص:115.

([33])- المرجع نفسه: الصفحة نفسها

([34])- المرجع نفسه: الصفحة نفسها

قال تعالى:﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (80) جاء الالتفات في قوله (فهو) وقوله (يشفين)، أي أسند المرض إلى نفسه، وإن كان قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدبا ...ولهذا قال إبراهيم إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه [35]. وغرض الالتفات جاء قصد التسجيل وإقامة الحجة.

قال تعالى:﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(112)، والالتفات هنا في قوله (قال) وقوله (وما علمي)، أي ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمني التنقيب عنه والبحث والفحص، إنما علي أن أقبل منهم تصديقهم إياي، وأكل سرائرهم إلى الله[36]. والالتفات في الآية قصد غرض التنبيه.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾ (117)، الالتفات جاء في قوله (قال) وقوله أيضا (إن قومي)، أي أهلك الباغي منا، وهو يعلم أنهم البغاة الظلمة[37]. وغرض الالتفات هو التحذير.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾(168)، جاء الالتفات في قوله (قال) و(إني)، أي: المبغضين لا أحبه ولا أرضى يعذه، فأنا بريء منكم[38].وغرض الالتفات يكمن في التوبيخ والتهديد.

قال تعالى﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (188)، الالتفات في هذه الآية انتقل فيه من الغيبة في قوله (قال) إلى المتكلم في قوله (أعلم)، أي: أن شعيب قال بأن نزول العذاب، ووقوع آيات الاقتراح، لست أنا الذي أتى بها وأنزلها لكم، وليس علي إلا تبليغكم ونصحكم وقد بلغت، وإنما الذي يأتي بها ربي، العالم بأعمالكم وأحوالكم الذي يجازيكم ويحاسبكم[39]، وغرض الالتفات التعظيم.

([35])- ابن كثير، المرجع السابق، ص:415.

([36])- المرجع نفسه، ص:118-119.

([37])- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص:566.

([38])- ابن كثير: المرجع السابق، ص:23.

([39])- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص:568.

قال تعالى: ﴿ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾(203)، الالتفات هنا في قوله (فيقولوا) وقوله (نحن منظرون)، أي: إذ ذاك يطلبون أن ينظروا ويمهلوا، والحال أنه قد فات الوقت، وحل بهم العذاب الذي لا يرفع عنهم، ولا يفتر ساعة[40]، وغرض الالتفات يكمن في التهديد والتخويف.

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(216)، الالتفات جاء في قوله (فإن عصوك) وقوله (إني بريء)، فقد قال تعالى لرسوله فإن عصوك في أمر من الأمور فلا تتبرأ منهم، ولا تترك بخفض الجناح ولين الجانب، بل تبرأ من عملهم، فعضهم عليه وانصحهم وابذل قدرتك في ردهم عنه وتوبتهم منه[41]، وغرض الالتفات هنا التحرير.

([40])- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق ، ص:569.

([41])- المرجع نفسه، ص:270.

الخاتمة

خاتمة:

يعد الالتفات من خصائص الأسلوب العربي، وتقتضي هذه الظاهرة التحول في العبارات الواحدة أو العبارات المتصلة من أسلوب في الكلام إلى آخر مخالفة يقتضيه ظاهر السياق من المواصلة على نحو واحد في الحديث.

وصورة الالتفات أن ينتقل المتكلم مثلا من استعمال ضمير المخاطبة إلى استعمال ضمير الغيبة، وهو لم يتحول عن مخاطبه، وقد سمى اللغويون الالتفات بأسماء مختلفة منها: العدول والانصراف والتلون وغيرهما.

وقسمت فوائد الالتفات إلى: فوائد خاصة، وفوائد عامة، أما الأولى فتاتي حسب ما يقتضيه مقام الخطاب وما يريده المتكلم من تحقيق الأغراض، فمنها قصد المبالغة والتوبيخ والتعظيم، والثانية تأتي حسب التفنن في الأسلوب لتنشيط السامع ودفع الملل والسأم وجريان الأسلوب على نمط واحد.

والقرآن الكريم غني بالالتفات حيث لا تكاد أي سورة أن تخلو منه فهو يؤدي وظائف عدة منها: تطرية نشاط السامع، حيث ورد الكلام على نمط واحد دفع إلى السأم والملل فهذه الوظيفة هنا تضفي عنصر التشويق لدى السامع لهذا الموضوع أو الدراسة، وتناولنا فيه التعريف بسورة الشعراء وسبب تسميتها ونزولها، متطرقين فيه لاستخراج الأوجه التي يرد فيها الالتفات من هذه الصورة .

كما اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة ظاهرة الالتفات ساعين في ذلك لدراسة إحصائية لمواضيع الالتفات في سورة الشعراء.

وفي ختام هذا البحث وكما تقتضيه أصول البحث العلمي خاتمة حاولنا فيها الإلمام بما تناولناه في هذا الموضوع، يتبعه فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

خاتمة

إن هدفنا في هذه الدراسة التي تندرج ضمن سياق فكري عام هو التنبيه إلى ظاهرة الالتفات من حيث ظاهرة الالتفات من حيث هي ظاهرة بلاغية تؤدي وظائف أدبية ولغوية عدة وأغراض متنوعة.

وختاما ندعو كل قارئ لهذه المذكرة إلى التكرم علينا بالتنبيه إلى ما يمكن أن يشوبها من النقص، وذلك حاصلا لا محالة تماشيا مع الطبيعة البشرية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهرس المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم رواية ورش عن نافع

01- ابن منظور : جمال الدين الأفغاني , لسان العرب , دار الصبح , بيروت , لبنان , ط1 , ج2 .

02- أبو عبد الله محمد بن احمد القرطاجي ، الجامع الأحكام القرآنية و المبين من السنة والفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج 16.

03- أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقرآن القرآنية ، مكتبة الآداب القاهرة.

04- بن صولة : عبد الله ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، جامعة منوية ، كلية الآداب ، تونس ، 2001.

05- بيارجيروا، الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، دار الحاسوب، حلب 1994، ط2.

06- التهانوي : محمد علي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم ، مرافقة رفيق العجم ، تحقيق علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 1996، ج1.

07-خليفان، عدنان عبد الكريم ، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأشهر اللغويين والنحاة في دراسته ، جامعة الملك عبد العزيز الإمارات العربية المتحدة.

08-الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد ربه ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت لبنان ، ج:3.

09- الزمخشري: جار الله ، كشاف ، دار اليقين للنشر والتوزيع ، المنصورة، مصر، 1422، 2003، 1983 .

10- الصعيدي : عبد المتعال ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة مكتبة الآداب مطبعتها الجامعية ،ج،1.

11- طاهر الدين، بلاغة في فن الالتفات في القرآن الكريم ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بشاور ، باكستان ، 1993.

12- طبل حسان أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1998، 1415.

13- العاكوب : عيسى علي و الثتيوي ، علي سعد ، الكافي في علوم البلاغة العربية المعاني، مطبعة الانتصار.

14-عبد الرزاق : حسن إسماعيل ، النظم البلاغية في النظرية ، دار الطباعة والمحمدية ، ط1 ، 1983.

15-العلوي : بحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم , الطراز المتضمنين الأسرار البلاغية وعلوم , حقائق الإعجاز , دار الكتب الخديوية مصر ، 1226 ، 1914 ، ج3.

16- عياد شكري محمد ، مدخل إلى علم الأسلوب ، مكتبة الجزيرة العامة ، 1413 ، 1992 ، ط3.

17- العيل توفيق , بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني , جامعة قطر , مكتبة الآداب القاهرة.

18- الفراهيدي: الخليل بن احمد,العين, تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي ج2.

19- قحطان : عبد العزيز ، الالتفات في البلاغة العربية ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم ، مجلة الدراسات الجامعية ، جامعة صنعاء ، يونيو 2005 ، العدد 19.

20- قليقلة : عبد العزيز ، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1412، 1992، ط3.

21- الكوفي أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني , الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوي , مؤسسة الرسالة بيروت ,1419-1898, ظ2.

22- لافي : محمد محمود زقوت ، لغة الخطاب القرآني لبني إسرائيل ، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطني نابلس فلسطين ، 2010.

23- محمد أبو موسى, خصائص التراكيب , مكتبة وهيبة , القاهرة , ط4 , 1416 , 1926.

24- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ، 1994 ، ط1.

25- المراغي : محمود حسن ، في البلاغة العربية في علم البديع دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1441 ، 1991.

26- المصري : بن أبي الأصبع ، تحرير التحبير في الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، تحقيق : حنفي محمد شرف ، الكتاب2.

27- الموصلي : بن الاثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت لبنان ، 1411، 1990 ، ج2.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

- المقدمة.....
- المدخل : تاريخ الالتفات 04
- الفصل الأول : الالتفات المصطلح و الظاهر .....
- مفهوم الالتفات 08
- أنواع الالتفات 10
- أغراض الالتفات 12
- وضيفة الالتفات.....16
- فوائد الالتفات.....17
- الفصل الثاني : الالتفات في ضوء علم الأسلوب .....
- تمهيد.....21
- مفهوم الأسلوب 22
- أوجه الالتفات 23
- بين الالتفات و العدول 26
- وضع الظاهر موضع المضمر.....27
- أسلوب الالتفات في الأدوات 28
- الفصل الثالث : دراسة تطبيقية سورة الشعراء.....
- سورة الشعراء.....31
- سبب التسمية.....31
- سبب نزول السورة 31
- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب 31
- الالتفات من الخطاب إلى التكلم.....37
-الالتفات من الغيبة إلى التكلم.....39
- خاتمة.....46
- فهرس المصدر و المراجع 49
- فهرس المحتويات.....53